Pragmatic Dimensions in Sharḥ al-Raḍī ʿalā al-Kāfiya by Raḍī al-Dīn al-Astarābādhī (d. 684 AH)

Lecturer Dr. Hazim Abdul-Latif Abdul-Ridha
University of Basrah / College of Physical Education and Sports Sciences
E-mail: hazem.abdullateef@uobasrah.edu.iq

Lecturer Dr. Kadhim Jabbar Allak
Maysan Directorate of Education
E-mail: Kadehmjabaar@gmail.com

Abstract:

This research is an analytical and interpretive study centered on the pragmatic analysis of selected grammatical applications in *Sharḥ al-Raḍī ʿalā al-Kāfiya* by Raḍī al-Dīn al-Astarābādhī (d. 684 AH). It investigates contextual pragmatic values in order to elucidate their role in analyzing these grammatical applications and to determine the extent to which they influence the identification of grammatical functions within sentence structures, the specification of sentence constituents, and the interpretation of the semantic structure of speech situations. The study also seeks to uncover the intentional dimensions underlying interpretation and semantic substitution within certain grammatical classifications.

Keywords: Pragmatics, Grammatical Applications, *Sharḥ al-Raḍī ʿalā al-Kāfiya*.

الأبعاد التداولية في شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاسترابادي (٦٨٤هـ)

المدرس الدكتور حازم عبداللطيف عبدالرضا
جامعة البصرة / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة
E-mail :hazem.abdullateef@uobasrah.edu.iq

المدرس الدكتور كاظم جبار علك
مديرية تربية ميسان
E-mail: Kadehmjabaar@gmail.com

الملخص:

البحث دراسة استنطاقية تحليلية، جوهرها التحليل التداولي لبعض التطبيقات النحويّة في شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الاسترابادي(٦٨٤هـ). فهي دراسة تستنطق القيم التداوليّة السياقيّة لتستظهر عن دورها في تحليل تلك التطبيقات النحوية وبيان مقدار تأثيرها لتحديد الوظائف النحويّة في التراكيب الجمليّة أو تعيين مكونات الجملة أو تفسير البنية الدلاليّة للمواقف الكلامية فضلاً عن الكشف المقاصدي للتأويل أو الاستبدال الدلالي لبعض التصنيفات النحويّة .

الكلمات المفتاحية: التدوالية ، التطبيقات النحوية ، شرح الرضي على الكافية.

المقدمة:

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تدرس التداولية طبيعة العلاقة بين اللغة وظروف السياق، إذ تتناول الطريقة التي تؤول بها التراكيب اللغوية في المقامات المختلفة، التي يستعمل فيها للتعبير عن غايات محددة. فالمُرسِل والمُخاطَب والمقام وظروف المقال تُعدُّ أسس علميّة في التحليل اللغوي التداولي لتوضيح المعنى، وكشف مراداته. فالتداولية تهتم بالتراكيب ملفوظة في سياقها(١).

وللتحليل التداولي مدخليّة بائنة، وصلة وثيقة في عملية التحليل النحوي، وتفسير البنية الدلاليّة للتراكيب اللغوية، فالظروف السياقية والقرائن الخارجية والملابسات التي ترافق المواقف الكلاميّة تُعدُّ مادة أولية في التفسير الأولي، والتحليل المقاصدي.

فالترابط الإجرائي بين التحليل النحوي للتراكيب اللغوية وبين أسس التحليل التداولي هو ترابط عميق يكشف عن وحدة المعالجات في العمل التحليلي، والتفسيري لهذه التراكيب اللغويّة.

وتكاد لا تخلو مدونة نحويّة من مظاهر التحليل التداولي. وقد كان لكتاب(شرح الرضي على الكافية) لرضي الدين الاستراباذي(٦٨٦هـ) حصة وفيرة من تجلّيات القيم التداوليّة التي أثمرت عن تحليل التطبيقات النحويّة في عموم الأبواب النحويّة.

وقد جاء هذا البحث مُسلِّطاً الضوء على رصد الأبعاد التداوليّة لبعض التطبيقات النحويّة في (شرح الرضي على الكافية). فهو دراسة استكشافيّة تحليليّة عمادها التحليل التداوليّ تستعلم عن دور القيم التداوليّة السياقيّة لتبيّن عن مقدار حضورها في تحليل التطبيقات النحويّة المختارة، واستنطاق نوعيّة هذا التأثير، ورسم معالم تجلّياته في عملية التحليل النحويّ، وكشف الوظيفية النحويّة، والمقاصد الدلاليّة والتفسيريّة للمواقف الكلاميّة.

وقد اجترح الباحث عنوانات تتناسب وطبيعة مضامين التطبيقات النحويّة المختارة، فجاءت طريقة عرضها بالشكل الآتي:

١- الرتبة النحوية للفاعل والمفعول به.

٢- تقدير الفعل المحذوف.

٣- إنزال العلم منزلة اسم الجنس.

٤- تقدير المبتدأ المحذوف.

٥- التأويل الدلالي لاسم التفضيل.

٦- الاستبدال الدلالي للفعل الماضي.

١- الرتبة للفاعل والمفعول به:

السياق الطبيعي لنمطيّة الجملة الفعليّة هو تقدّم الفاعليّة وتأخّر المفعوليّة، وقد تتدخل القرائن اللفظيّة في حال اختلال سياق نمطية الجملة الفعلية لحسم الموقعيّة الوظيفية لكُلٍّ من الفاعل والمفعول به.

يظهر في بعض التراكيب الجملية غياب القرائن اللفظية لتحديد الموقعية الإعرابية، ويظهر دور القرينة المعنوية لإنجاز هذا التحليل النحويّ، والكشف الموقعيّ للوظيفة الإعرابية، ففي جملة: "استخلفَ المرتضى المصطفىصلى الله عليه وآله وسلم"[٢]، تبرز هذه القرينة المعنوية بوصفها بعداً تداولياً سياقياً لتحديد المواقع الوظيفية لكُلٍّ من الفاعليّة والمفعوليّة، فالأبعاد التداولية تظهر واضحة لتفسير المقاصد الدلالية في هذه العبارة، فهذه القرينة العقائدية المستوحاة من سياق تاريخي مرتبط بالخلافة الإسلامية بعد النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلَّم) هي التي تُحدد المواقع الوظيفية الإعرابية لكل من الفاعلية والمفعولية، ومن هو المُستخلِف؟ ومن هو المستخلَف؟ وهذه القرينة بوصفها بعداً تداولياً ثقافياً ودينياً تكشف عن السياق التاريخي عن تصوّرات هذه الحادثة، و قيمتها العقديّة، إذ إنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد استخلف الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ليكون خليفة للمسلمين عبر نصوص واضحة وصريحة رواها جميع علماء المسلمين، فهذا السياق الثقافي المرتبط بحيثيات هذه المسألة التاريخية، والعقائدية شكّل قرينة دلالية تستنطق هذه العبارة، وتحدد مقصديتها، وتفرز أركان جملتها من فاعليّة، ومفعوليّة. فارتباط هذا الحدث اللغوي بمعطيات السياق الثقافي التاريخي والديني الذي يُحيل إليه أنتج فهماً بمقتضيات الجملة، وتحليلاً دلالياً وإعرابياً واضحاً لمراداتها النحوية، والدلالية، فمن دون ربط هذه العبارة وأبعادها الدلالية، ومكوناتها التركيبية التي تُحيل إليها بذاك السياق الثقافي والتاريخي والديني الذي يشير إلى تلك الواقعة التاريخية بمعطياتها العقائدية، والسياسية في أذهان الناس لما تمكّنا من تحديد الموقعية الوظيفية لكُلٍّ من الفاعليّة والمفعوليّة في هذه الجملة، ومن ثَمَّ تحديد القصدية الإنجازية لهذه العبارة، وكشف مكنونها الدلالي، فهذا المعطى التاريخي والعقائدي والديني شكل قرينة رافدة وبوصلة للتحليل النحوي الوظيفي والدلالي، إذ إنَّ قراءة هذه العبارة في بعدها السياقيّ التاريخيّ والديني أمكن المُحلِّل النحويّ من تصيّد المواقع الإعرابية في الجملة، كما باتت هذه القراءة قنطرةً للوصول إلى المعنى المقاميّ، والدلاليّ لهذه القضية حتى مع غياب القرائن اللفظية في مكوناتها.

٢- تقدير الفعل المحذوف:

يُحذف الفعل في سياق الجملة الفعلية لوجود قرائن تدلُّ عليه، وتبيّن معناه، وهذه القرائن منها ما تكون لفظية، كما إذا قال شخصٌ، مَنْ أضرب؟ فتقول زيداً[٣]، فالسياق الاستنطاقي المتواصل بين السؤال والجواب سمح بتعيين الفعل المحذوف، وتقديره في جملة الجواب الاستفهامي عن طريق الرابطة اللفظية الموجودة في السؤال، وهو الفعل(أضرب).

وقد تكون القرينة:"حالية، كما إذا رأيت شخصاً في يده خشبة قاصداً لضرب شخص فتقول: زيداً"[٤]، فهذه القرينة الحاليّة بوصفها بعداً سياقياً تداولياً ارتبط بإنتاج هذا الحدث اللغوي وأثمر عن تعيين الفعل المحذوف، وتحديده في سياق الجملة الفعلية، ومن ثَمَّ أوضحتْ مكونات الجملة، وتحديد أركانها الموقعية الوظيفية، وتحديد مقاصدها الدلالية. فهذا المشهد السياقي الخارجي الذي رُسمت أبعاده في هذا التوظيف المقاصدي صنع هذا الحدث اللغوي، ومهّد ولادته بطريقة أسلوبية تتناسب وخاصية هذا الفعل التداولي المُشاهَد في الخارج.

فخاصيّة وقوع الفعل التداولي بكيفية معينة في العالم المُشاهد، والتشخُّص الواقعيّ أعطى خصوصيّة أسلوبيّة لصياغة هذا الحدث اللغويّ، وانتظامه بهذه الطريقة التي حُذِفت بعض أركانه، لكن تعيين الفعل المحذوف، وتقديره، واستنطاق الدلالة الوظيفية النحويّة، والدلالة المقاميّة كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحيثيات هذا الحدث المُشاهَد والواقع في السياق الخارجي، فتفاصيل هذا المشهد من رؤية شخص بيده خشبة، وهو قاصدٌ لضرب شخص تعطي رؤية تفسيرية لصناعة هذا الحدث اللغوي بهذه الكيفية المخصوصة، وتحدد الفعل المحذوف بكلمة(أضرب)، وتعبّر عن بعد سياقي تداولي كان له دور فاعل لتنميط هذا الحدث اللغوي وصناعته بهذه الطريقة المخصوصة أيضاً.

فقراءة هذا الحدث اللغوي مع معطيات المشهد الواقعي المقول فيه، والمُحال إليه أسهم في ترسيخ القيم النحوية وتحديدها، وتحليل أنماطها في هذه الجملة الفعلية، وكشف عن مقاصدها الدلالية بين أطراف السياق الكلامي.

ولولا هذا المشهد المتراءى في هذا السياق الخارجي لما كنا نعيّن الفعل المحذوف ،ونحدد نوعيّته، ونكشف عن مراد دلالته، ونشخّص مقصدية البنية التفسيرية لهذا الحدث اللغوي.

٣- إنزال العلم منزلة اسم الجنس:

يُعرَّف العلم في المصنفات النحويّة بأنّه:((الاسم الذي يعيّن مسماه مطلقاً؛ أي بلا قيد التكلّم أو الخطاب أو الغيبة))[٥]، في حين يُعرَّف اسم الجنس بأنّه:((ما كان دالاً على حقيقة موجودة، وذوات كثيرة، وتحقيق ذلك أنَّ الاسم المفرد إذا دلّ على أِياء كثيرة، ودلّ مع ذلك على الأمر الذي وقع به تشابه تلك الأشياء تشابهاً تاماً، حتى يكون ذلك الاسم اسماً لذلك الأمر الذي وقع به لتشابهه؛ فإن ذلك الاسم يسمّى اسم الجنس، وهو المتواطئ الواقع على الإنسان والفرس والثور والأسد))[٦]، فاسم الجنس يُطلق على الحقيقة المعتبرة ،والمُتصوَّرة في الذهن بلحاظ صدقها على أفرادها في الخارج، وبذلك يفترق تعريفه عن علم الجنس الذي يتحقق مفهومه باعتبار الحقيقة الموجودة في الذهن بلحاظ صدقها المُتصوَّر على الحقيقة الذهنية والموجود في الذهن لا في الخارج[٧].

فالعلم يدلُّ على مسمّى مُشخّص، وحقيقة واقعية واحدة، وبذلك يفترق عن مفهوم اسم الجنس الذي حمل عنواناً عاماً، وحقيقة جامعة تصدق على كثيرين.

وقد تتدخل عوامل تداولية سياقية دينية واجتماعية لتنزل العلم منزلة اسم الجنس، ويُعامل معاملته في التوصيف النحوي، والتوظيف المعنوي، فيتحوّل معنى العلم الذي يدلُّ على مسمّى محدد، ومعيّن إلى معنى اسم الجنس الدال على حقيقة ذهنية جامعة تفيد معنىً عاماً، إذ قد يُجعَل ((العَلَم لاشتهاره بتلك الخلّة كأنّه اسم جنس موضوع لإفادة ذلك المعنى؛ لأنّ معنى: قضية ولا أبا حَسَن لها، لا فيصل لها، إذ هو (عليه السلام) كان فيصلاً في الحكومات، على ما قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):((أقضاكم علي))[٨]، فصار اسمه (عليه السلام) كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع، كلفظ الفيصل، وعلى هذا يمكن وصفه بالنكرة، وهذا كما قالوا: لكل فرعون موسى، أي: لكل جبارٍ قهّارٍ، فيُصرف فرعون، وموسى لتنكيرهما بالمعنى المذكور))[٩]، فالشهرة الاجتماعية للإمام علي(عليه السلام) بهذا التوصيف العلمي والديني أنزلت هذا الاسم المشهور بصفة معينة، وهو اسم مخصوص ومُشخَّص عنواناً عاماً يحمل معنى اسم الجنس الذي يفيد ذلك المعنى المّراد ،والمقصود من تلك الصفة المشهورة، فهو وصف يحيله مرجعاً للفصل بين النزاعات القضائية والاجتماعية، والإشكالات الفكرية التي تُثار على الدين الإسلامي.

فالمقصدية الدلالية للتركيب اللغوي (قضية ولا أبا حسن لها) تعني أن هذا الاسم المشهور بهذا الوصف صار كأنّه عنوان لمعنى الفصل والقطع، فالتنكير هنا لا يعني عدم المعروفيّة، وعدم المعلوميّة لهذا الاسم المبارك، وإنّما يعني التخصيص والتحديد لهذا الوصف بهذا الاسم باعتباره انسياق ثقافي اجتماعي ارتكز في بنية العقل المجتمعي.

فاشتهار الإمام علي(عليه السلام) بهذا التوصيف من حيث هو سياق تداولي ثقافي اجتماعي أنتج تغيّراً في المقولات النحوية، وتنميطاً جديداً في التصنيفات الوظيفية لأحكام النحو، إذ جعلتْ هذه الصفة المشهور (صفة الوصل والقطع) الاسمَ المخصوصَ والمُشخَّصَ ينزل منزلة اسم الجنس.

ولولا ارتباط هذا الحدث اللغوي بمكوناته الجُمليّة بسياقات خارجية ثقافية ودينية ارتكازية في بنية العقل الإسلامي لما صرنا إلى هذا التحوّل الوظيفي في التحليل النحوي، ولا لمسنا هذا الكشف المقاصدي للبنية الدلاليّة لطبيعة هذا الحدث اللغوي، فالشهرة المرتكزة في ذهن المجتمع قد وُظفت تداولياً في صناعة هذا الحدث اللغوي وتفسير مراداته النحويّة والدلاليّة.

٤- تقدير المبتدأ المحذوف:

قد تطرأ تغيرات على مكونات الجملة الاسمية فتحذف أحد أركانها المبتدأ أو الخبر، وقد يكون هذا التغيّر ناتجاً عن قرائن لفظية مقالية، نحو حذف المبتدأ في جملة:((كيف زيدٌ؟)) فنقول: صحيح، أي:هو صحيح[١٠]، فالدالة اللفظية(زيد) الموجودة في السؤال الاستفهامي هي المرشد والدليل على تجويز حذف المبتدأ، وإمكانية تقديره وتحديده بالضمير(هو) الذي يعود على(زيد) المبتدأ الأصلي.و قد يكون الحذف بفعل حضور قرائن مقاميّة سياقيّة تداوليّة، إذ إنّه قد يُحذف المبتدأ لقيام قرينة، جوازاً كقول المُستهِل: الهلال والله، والمُستهِل: المُبصِر للهلال، وقد ذُكر أنّه لا يُحذف شيء، لا وجوباً، ولا جوازاً إلاّ مع قرينة دالة على تعيينه[١١]، فلهذا الحدث السياقي التداولي مدخليّة لصناعة هذا الإنتاج اللغوي لعبارة:((الهلال والله) بهذه الطريقة التركيبية، والانتظام النسقي، إذ كان لهذا الفعل التداولي بهذه الكيفية المخصوصة أثرٌ واضحٌ لحذف المبتدأ وتحديده، فكأنّ هذا السياق التداولي والمُشخَّص في الواقع الخارجي- الذي كان متجلّياً برؤية رجل رافع رأسه للسماء وهو يكبّر- صار شاخصاً حاضراً لفهم هذا السياق الجملي(الهلال والله) وتفسير مفرداته، فهو بمثابة تدليل سياقي لتقدير المبتدأ المحذوف، وكشف مقصدي لحقيقة هذا المبتدأ المحذوف أيضاً.

فارتباط هذا الحدث اللغوي بهذا المشهد الواقعيّ والفعل التداوليّ السياقيّ الذي تشكَّلَ برؤية رجل ناظر إلى السماء وهو يكبّر[١٢]، هو الذي جعل الإنتاج الجملي لهذه العبارة(الهلال والله) أن تكون بهذا المعيار النسقيّ، أيّ إنَّ كُلُّ من رأى ذلك الشخص المُتوجِه لرؤية السماء وهو يكبّر، يقول: الهلال والله، بحذف المبتدأ، وكذلك هذا المشهد التداوليّ أيضاً هو مَنْ أثمر عن التوظيف التفسيريّ، والتحليليّ لمكوناتها، أيّ تحديد المبتدأ، وتقديره بكلمة(هو).

فنمطيّة التحليل النحوي لعبارة(الهلال والله) وتحديد أركانها الوظيفية النحوية فضلاً عن الكشف المقاصديّ ، والدلاليّ للبنية التفسيريّة لمراداتها المعنويّة تمظهرتْ بشكل تجلّيات سياقيّة لفعل تداولي ارتسمت ملامحه بمشهد واقعيّ مُشخَّص.

وهذا التواشج بين التحليل الوظائفيّ النحويّ، والتبيين الدلاليّ للتراكيب الجملية من جهة، وبين الانتظام التداوليّ، والفعل السياقيّ من جهة أخرى يكشف عن عمق الصلة والترابط البنيوي، والتنميط المعرفيّ بين الفكر النحويّ والقيم التداوليّة. فهذه القيم شفرات بنيويّة للتجسير المعرفيّ والعمق الإدراكيّ لصناعة الحدث اللغويّ، وضبط حدوده في سياق قوانين النحو العربي على وفق تداوليّات الاستعمال وحيثياته.

٥- التأويل الدلالي لاسم التفضيل:

تتدخل معطيات الاستعمال التداوليّ، وأحوال المتكلم ومقصديّته في توجيه السياق الكلاميّ، وتأويل دلالته بالوجهة التي يريدها المتكلّم. فطبيعة الحدث اللغويّ، وخصوصيّة مفرداته اللغويّة تعكس هذا التأويل الدلالي الذي يريده المتكلّم، ويقصدُه، فقد يكون قاصداً التُهكُّم، حين يقول:((أنت أعلم من الحمار؛ فكأنك قلتَ: إن أمكن أن يكون للحمار علم، فأنت مثله مع زيادة، وليس المقصود بيان الزيادة، بل الغرض: التشريك بينهما في شيء معلوم انتفاؤه عن الحمار))[١٣]، إذ تكون طبيعة الحدث الكلاميّ الذي يصوّر التقارن بين علم الإنسان المُتهكَم منه ،وبين علم الحمار المعدوم من أساسه كاشفةً عن الحالة السياقيّة التداوليّة لهذا الفعل الكلامي. فحال المتكلّم، وقصديّته لبلورة هذا التركيب الجملي ،وإنتاجه بهذا الانتظام النسقيّ توحي بالتأويل الدلاليّ لهذه العبارة، فمقارنة علم شخص مع علم الحمار المنتفي من أصله يعبّر عن التَهكُّم ،وقصد السخرية والتقليل من علميّة الشخص المُتهكَم منه، بل المقارنة التفاضليّة بين علم الأثنين تريد أن تسلب العلميّة عن الإنسان المُتهكَم منه، والمُستهزئ به؛ لأنّ الحمار بطبيعته التكوينية فاقدٌ لخصوصية العلم المقصود، والمتعارف عليه. فقصدية المتكلّم، والظرف السياقيّ التداوليّ هو الذي أنتج هذا الحدث اللغوي بهذه الكيفيّة المخصوصة، والطريقة التفاضليّة المعبّرة عن القصد التأويليّ لاسم التفضيل، وإنزاله منزلة التشريك مع المفضل عليه، فطبيعة اسم التفضيل، ودلالته تعكس المقارنة التفاضليّة بين طرفي المُفضل والمفضل عليه مع زيادة للمُفضَل، فعندما نقول: ((أحمد أعلم من خالد))، فأحمد وخالد يشتركان في العلمّية، لكن (أحمد) يزيده في العلميّة ويكثره بدلالة اسم التفضيل وقصديّته، في حين كانت دلالة اسم التفضيل في عبارة (أنت أعلم من الحمار) هي مشاركة المفضل مع المفضل عليه من دون زيادة في العلميّة المنتفية أساساً عن الحمار، فاسم التفضيل(أعلم) هنا قد أُولِتْ دلالته إلى التشاركيّة المحضة بعيداً عن التقارن التفضيليّ الذي يوحي بالزيادة، والكثرة.

وهذا التأويل الدلاليّ لاسم التفضيل (أعلم) بهدفيّة التهكُّم بالشخص ،والسخريّة منه ما كان ليحدث، ويُتصوَّر لولا الحالة السياقيّة التداوليّة لمراد المتكلم ومقصديّته.

٦- الاستبدال الدلاليّ للفعل الماضي:

تتجلّى القيم التداوليّة للأفعال الكلاميّة بحسب الظروف السياقيّة التي ترافق إنتاج الحدث اللغوي وصناعته، إذ تكون العوامل السياقيّة التداولية هي المسؤولة عن توجيه المعنى، وتأويل دلالته.

فقد ترسم الأبعاد التداولية التي تزامن السياق الكلامي لوحةً تعريفيةً تُدلِّل على الكشف المقاصدي الذي يوجّه الدلالة، ويستبدلها بغير ما وُضِعت له في تأصيلها الأوّليّ، والمرجعيّ، وهذا الاستبدال الدلالي الناتج عن مدخليّة الأبعاد التداولية قد يُصاحب البنية المعرفيّة الدلاليّة للفعل الماضي، فتتحول دلالته من الزمان الماضي إلى التدليل عن زمان المستقبل، إذ((ينصرف إلى الاستقبال بالإنشاء الطلبي: إمّا دعاءً،

نحو: رحمك الله، وإمّا أمراً، كقول علي(عليه السلام) في النهج: ((أجزأ امرؤ قرنه، وآسى أخاه بنفسه))[١٤]؛ وينصرف إليه أيضاً، بالإخبار عن الأمور المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، و:﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ﴾ [الزمر: ٧١، ٧٣]، والعلّة في الموضعين: أنّه من حيث إرادة المتكلّم لوقوع الفعل قطعاً؛ كأنّه وقع ومضى، ثم يخبر عنه))[١٥]، فالانصراف الدلالي للفعل الماضي إلى زمان المستقبل في هذه المواضع فرضته طبيعة القيم السياقيّة التداوليّة. فحين تتحوّل حقيقة الفعل الماضي من حدث وقع في الزمان السابق ،وانتهى إلى حدث يترقب حصوله في المستقبل أو يتأكد حصوله، ووقوعه في زمان المستقبل، فهذا التحوّل يكشف عن مدخليّة معطيات ترتبط بخصائص المتكلّم، وطبيعة المتلقي، وشكل العلاقة المشتركة بين أطراف التخاطب الكلاميّ من جهة، وبين خصوصّية البنية اللغويّة التركيبيّة، ومقدار انسجامها مع مقصديّة المتكلّم من جهة أخرى. ففي الإنشاء الطلبي الدال على الدعاء في عبارة (رحمك الله)، يكون التحوّل الدلاليّ لحقيقة الفعل الماضي وإرادة وقوع الرحمة الإلهيّة على المُخاطَب في الزمان المستقبلي مرتبطاً بخصوصية المضمون وهو طلب الرحمة الإلهيّة التي يحتاجها العبد باستمرار دون انقطاع هذا من جانب، ومن جانب آخر مرتبطاً بخصوصية المتكلّم ، وعلاقته بالمُخاطَب فهو طلب إنشائي بتوظيف خبري للاستعطاف والترحم على المُخاطَب. فالقيم السياقية التداوليّة المتعلقة بمقصديّة المتكلم، وطبيعة علاقته بحال المُخاطَب المصاحبة للحقيقة المضمونيّة في الموقف الكلاميّ في عبارة: (رحمك الله) هي التي رشحتْ وأثمرتْ هذا الاستبدال الدلالي لحقيقة الفعل الماضي، وحوّلتْ معناه إلى طلب وقوع الرحمة الإلهيّة في المستقبل.

وفي الإنشاء الطلب الدال على الأمر في قول الإمام علي (عليه السلام): ((أجزأ امرؤ قرنه، وآسى أخاه بنفسه))[١٦]، كانت المعطيات السياقية التداولية التي صاحبت الموقف الكلامي هي التي بلورت الاستبدال الدلاليّ للفعلين الماضيين(أجزأ وآسى)، وتحويل معناهما من الزمان الماضي إلى الزمان المستقبلي، إذ كانت هذه العلامات التدليليّة متمثلة بأطراف المشهد الواقعيّ التداوليّ الذي تجلّى بخطاب الإمام علي (عليه السلام)، وهو قائد الجيش الذي يحثُّ جيشه قبل بدء القتال، إذ كان يحرضهم على التلاحم والتكاتف فيما بينهم.

فهذه العوامل السياقيّة التداوليّة توحي بهذا التحوّل الدلاليّ للفعلين(أجزأ وآسى)، وإنَّ المقصود بهما هو: ليجزئ كل واحد منكم قرنه، أيّ خصمه في الحرب في زمان المستقبل، وليواسِ زميله في الحرب بنفسه، ولا يتركه لعدوه في زمان المستقبل أيضاً. فهذه القيم التداولية المُشكَّلة في ساعة الخطاب الكلاميّ للإمام علي(عليه السلام) تؤيد إرادة التدليل المستقبليّ لقيم هذه الأفعال، إذ كان الخطاب توجيهيّاً قبل بدء القتال، فتكون القوة الإنجازية لهذين الفعلين(أجزأ وآسى) هو إرادة الوقوع المستقبلي بحسب طبيعة العلاقة بين أطراف التخاطب الكلاميّ، إذ كان المتكلّم هو القائد وهو الآمر والمُوجِّه، والمخاطبون هم جيشه فهم مأمورون بالالتزام بوصاياه وأوامره.

وتمظهرت أيضاً حقيقة الاستبدال الدلاليّ للفعل الماضي وانصراف معناه إلى القطع بالتحقق والوقوع في المستقبل في الفعلين، الأول:(نادى) في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، والفعل الثاني(سيق) في قوله تعالى:﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ...﴾ [صَدْر كل من الآيتين: ٧١، ٧٣ من سورة الزمر]، وهذا النسق التأويلي للاستبدال الدلالي للفعلين الماضيين(نادى، وسيق) مرجعه تمثلات سياقيّة تداوليّة مرتبطة بحقيقة الخطاب القرآني، وخصوصيات المتكلّم، فالمتكلّم وهو الله تعالى وتقدَّس يمتلك خصوصيات قادرة من علم مطلق، وقدرة مطلقة، وهاتان الصفتان(العلم المطلق والقدرة المطلقة) يجعلان القطع بوقوع الفعلين (نادى، وسيق) وتحقق حصولهما أمراً حتمياً، ومقضياً، كيف لا وهو الله الخلاّق العظيم القادر على كل شيء. فالفعلان (نادى، وسيق) وهما فعلان مستقبليا الحدوث بحسب حقيقتهما المضمونية المُنبِئة عن أحوال يوم القيامة وهي أخبار تقع في المستقبل، فيكون الحديث عنهما بصيغة الماضي الدالة على الوقوع والتحقق القطعيّ ما هو إلّا حديث عن قدرة الواعد المطلقة، وعلمه المطلق بقطعية تحقق ذلك. فهذا الاستبدال الدلاليّ للفعلين الماضيين (نادى، وسيق) وتحوّلهما إلى زمان الاستقبال ما هو إلا قراءة تشخيصيّة لخصوصيّات المتكلّم الفاردة فهي بمثابة عوامل سياقيّة تداوليّة أظهرتْ وأنتجتْ هذا البناء اللغويّ الذي امتاز بتلك الخصائص المضمونيّة التي كان أحد تجلّياتها هذا التوسُّع والاستبدال الدلاليّ والانتظام البلاغيّ الفريد.

نتائج البحث:

١- أظهرتْ الدراسة الترابط العميق بين التحليل الوظائفي للقيم النحويّة، والاستظهار الدلالي للبنية التفسيرية للتراكيب اللغويّة من جهة، وبين القيم السياقيّة التداوليّة من جهة أخرى.

٢- قد كشفتْ هذه الدراسة- في التطبيقات النحويّة المختارة في هذا البحث -عن فاعليّة المعطيات السياقيّة التداوليّة، ومقدار تأثيرها في التحليل النحويّ، والكشف المقاصديّ لهدفيّة الاستنطاق القيمي، والتدليليّ لغاية الانتظام المعرفيّ في فلسفة النظام النحوي.

٣- استنطق البحث جملة من العوامل السياقيّة التداوليّة التي كانت حاضرة في عملية التحليل النحوي، والتوظيف التفسيري لبنية التراكيب اللغوية، منها: سياقات الأحوال الخارجية المحيطة بالموقف الكلاميّ، ومنها: الحالة القصديّة للمتكلم ومدى علاقته بالمتلقي، وما يجمعهما من معارف مشتركة توضح طبيعة العلاقة بينها، وتفسر حالة المتلقي، ومن العوامل الأخرى: خصوصيّات المتكلّم التي أضفت طابعاً إنتاجياً لبلورة المشهد الكلامي بالطريقة التي تتناسب وطبيعة تلك الخصوصيّات.

٤- أفرزتْ دراسة التطبيقات المختارة في هذا البحث عن نوعية التأثير في تصنيف الموضوعات النحويّة، نحو إنزال العلم منزلة اسم الجنس، وتبيين الموقعيّة الوظيفيّة داخل التراكيب الجمليّة، نحو: الكشف عن موقعيّة الفاعليّة والمفعوليّة، وتحديد العنوانات النحويّة، وتقديره معناها، نحو: تقدير الفعل ، والمبتدأ المحذوفين، وتحويل القيمة الدلاليّة لبعض التوصيفات النحويّة، نح

الهوامش:

(١) ينظر:النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد شاهين، والتداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي: ٢٦، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة: ١٤.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين الاستراباذي:١٤١/١، والخصائص/ لابن جني: ٩/١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٨٢/٢، وحاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك لأبي العرفان محمد بن علي الصبان: ٥٢٥/٢.

(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٤٩/١.

(٤) شرح الرضي على الكافية:٢٤٩/١، وينظر: الكتاب، لسبيبويه: ٣٤٠/١، والأصول في النحو: ٢٤٧/٢، وشرك كتاب سيبويه، لأبي علي السيرافي:٨١/٣، ١٤٥ – ١٤٦، والخصائص: ٢١٩/١، ٢٢٣، وتمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش: ١٨٧٢/٤، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، الشاطبي:٩/٣.

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:١٠٩/١، وينظر: شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش: ٩٣/١، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي:٣٠٥/٢، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لأبي عبد الله جمال الدين:٣٠، وشرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي: ١٤٦، وجامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني:١٠٩/١.

(٦) شرح المفصل للزمخشري:٩١/١، وينظر: شرح كتاب الحدود في النحو: ١١٢.

(٧) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد:٦٢٦/٢، والمقاصد السامية في شرح الخلاصة الكافية:٣٨٥/١ ٣٩٦.

(٨) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلاّمة المجلسي:١٥٠/٤، وشرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ١٥٦/٢٢.

(٩) شرح الرضي على الكافية: ١٣٦/٢ – ١٣٧.

(١٠) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٢١/١.

(١١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٠٠/١.

(١٢) ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ٦٨/١.

(١٣) شرح الرضي على الكافية: ٣٦٣/٣.

(١٤) نهج البلاغة: ١٨١.

(١٥) شرح الرضي على الكافية: ١٠/٤.

(١٦) نهج البلاغة: ١٨١.

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم.

٢- الأصول في النحو، لأبي محمد بن السراج(٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة بيروت، ١٩٩٧م.

٣- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب – القاهرة، ط: الأولى، ٢٠١١م.

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلاّمة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٥- التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة – بيروت – لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٥م.

٦- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د, حسن الهنداوي، دار القلم من (١ – ٥) من الأجزاء، وباقي الأجزاء: دار كنوز اشبيليا، الرياض، ط: الأولى، ١٩٩٧م، ٢٠١٣م.

٧- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لأبي عبد الله جمال الدين (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، (د.ط)، ١٩٦٧م.

٨- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف الحلبي المصري المعروف باسم ناظر الجيش (٧٧٥هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٩- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان، ط: الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٠- حاشية الصبان على شرح الاشموني، محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٩٩٧م.

١١- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ٢٠١٢م.

١٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع– ايران، (د.ط)، ٢٠٠٤م.

١٣- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر، دار المجتبى، مطبعة القلم، ط: الأولى، ٢٠١٠م.

١٤- شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (٩٧٢هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٣م.

١٥- شرح كتاب سيبويه، لأبي علي اسيرافي (٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٨م.

١٦- شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، قدّم له: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى،٢٠٠١م.

١٧- الكتاب، لأبي بشر عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: الرابعة، ٢٠٠٤م.
١٨- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد شاهين، عالم الكتب الحديثة، إربد – الأردن، ط: الأولى، ٢٠١٥م.
١٩- نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح الأستاذ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (د.ت).
٢٠- شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، تحقيق وتعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، (د.ت).
٢١- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي، أم القرى– مكة المكرمة– السعودية، ط: الأولى، ٢٠٠٧م.